هل حققت العبودية لله!

أولاً العبادة:

هي كل عمل أو قول أو نية يؤديه المسلم بقصد التقرب إلى الله علي جهة التذلل والخضوع لأن هذا الأمر لا يستعمل إلا الله.

كل عمل كالصلاة والصيام والزكاة والحج، وكل قول كقراءة القرآن تقصد به وجه الله، وكل نية ما تضمره في نفسك من فعل الخير حيث إن نية المرء خير من عمله وكما ورد في البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب ☺ :"**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**- ومصب ذلك كله الإخلاص لله رب العالمين على جهة التقرب والتذلل والطاعة وليس على جهة الكبر والاستعلاء والتفاخر بين الناس، كله يكون لله، الله الذي هو علم على الذات الإلهية والمستحق للعبادة وبخلاف لفظة إله التي تستعمل في إله الحق وإله الباطل وعماد ذلك ورد في فاتحة الكتاب الشافية الكافية بعد أن طالعتنا صدر السورة بالحمد والثناء على الله بما هو أهله وإنه قيوم السماوات والأرض في قسمها الأول المتعلق بالذات العلية، ثم تبدأ في قسمها الثاني المتعلق بالعبد فتقول:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥} [الفاتحة: ٥]، فالأول من معنى الألوهية والثاني من معنى الربوبية وجاء جماع ذلك في خاتمة سورة هود بقوله:{فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود: ١٢٣]، فجمعت الآية بين الاستعانة والعبادة والتوكل والمراقبة.

وعند الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة ☺ قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**قال الله تعالى في الحديث القدسي: يا ابن أدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك**- فالعبادة تجمع أمرين: غاية الحب وغاية الذل والخضوع.

ثانيا: الهدف من خلق الإنسان؟

كل شيء موجود في الحياة له هدف وله سبب وله منفعة وإن خفيت علينا بعض الشيء فالإنسان أحد مخلوقات الله فالخالق هو الله جل في علاه والهدف من خلقه هو عبادة الله كما أخبر ربنا في سورة الذاريات: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾} [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، ومنفعة الإنسان أن ينال رضى الله فيكن في أعلى درجات النعيم في جنة الخالدين مع:{ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا } [النساء: ٦٩].

وقد قال الله تعالى عن الخضر العبد الصالح:{فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾} [الكهف: ٦٥].

وقد وصف رب العزة نبيه ومصطفاه بمقام العبودية في عدة مواضع تدل على أن هذا الوصف هو منحة ربانية ينعم بها على عباده

فجاء الوصف في سورة البقرة في مقام التحدى:{وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾} [البقرة: ٢٣]، وفي مقام الإسراء في صدرها حيث يقول ربنا:{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ } [الإسراء: ١].

وفي مقام الدعوة حيث قال:{وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾} [الجن: ١٩].

هذا مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يختار أن يكون عبدا رسولا بدلا من أن يكون ملكا نبيا ورسولا وذلك لأن العبودية تشتمل على (القلب، اللسان، عمل القلب، أعمال الجوارح) والعبودية تشتمل على قسمين أولها عبودية عامه كما قال ربنا:{إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾} [مريم: ٩٣ - ٩٥]، ثانيا عبودية الطاعة والمحبة كما قال ربنا:{ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا } [الفرقان: ٦٣].

ولذلك أخبر الله في كتابه عن قلة عباده في شكر النعم جل في علاه حيث قال:{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ } [سبأ: ١٣]، وحينما وجدت السيدة عائشة ♥ نبينا صلى الله عليه وسلم يكثر العبادة فقالت يا رسول الله ألم يكن الله تبارك وتعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال:**"أفلا أكون عبدا شكورا-** وجاء الأمر من الله تبارك وتعالى بدوام العبادة والثبات حتى الممات حيث خاطب ربه بقوله:{ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾} [الحجر: ٩٩].

ثالثًا: هل أنت عبد الله أم عبد لغيره ؟!

تنظر إلى كثير من الناس ترى ظاهرة أنه يتعبد لله إلا أنه في قرارة نفسه وحقيقة أمره عبد لأشياء كثيرة منها:

سلطانه، ونفوذه، أو زوجته، أو أولاده أو ماله وهذا هو الغالب الأعم، وبه عمّت البلوى، وتأتت الطامة الكبرى، حيث جاء التحذير

من الله بقوله:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩} [المنافقون: ٩]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :**"تعس عبد الدرهم وتعس عبد الدينار**- ولاحظ جيدًا الدرهم آخره (هم) والدينار آخره (نار) والمال أي مال إلى إحدى جنبيه فهل أنت عبد المال؟ مع أن الله من أسمائه الحسنى (الرزاق، الغنى) وكما قال ربنا:{إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١} [التوبة: ١١١]، اشترى تدل على البيع والشراء من أن جميع المخلوقات ملك لله رب العالمين، وبالرغم من ذلك يشترى منهم، ويكافئهم عليها، وقد جاء الحث من الله على الإنفاق فقال:{وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ} [الحديد: ٧]، فهل وجهت جزءاً من نفقاتك وأموالك لفعل الخير أم أنت عبد لـ...؟!

هل تصدقت بجزء من مالك لإقامة مسابقات قرآنية لكتاب الله أم أنت عبد لـ...؟

قال تعالى:{وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا} [الفرقان: ٣٠].

رابعًا: في معرض الأمثال:

أكتفي بذكر موقفين فيهما قيمة التضحية والجود بما عند الإنسان عن طيب نفس حتى يحقق معني العبودية لله ويرضي عنه ربه جل في

علاه.

* **الأول**: حينما نزل قول الله تعالى:{مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ } [البقرة: ٢٤٥].

جاء أحد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وهو (الدحداح بن ثابت بن أبي الدحداح) وقال: يا رسول الله هل يطلب الله منا القرض؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم :"**أجل**- فقال أبو الدحداح لقد أقرضت ربي حائطي وكان بستان فيه ستمائة نخلة، فذهب إلى البستان وقال: يا أم الدحداح اخرجي وأولادك لقد أقرضت ربي حائطي، وقد كان هناك تمرة في فم أحد أولاده فأخرجها من فيه (فمه) فقال النبي صلى الله عليه وسلم :"**كم في الجنة من عذق رداح لأبي الدحداح**- هنيئاً لك يا أبي الدحداح ولزوجك أم الدحداح.

ثانيا: روي أن رجلا من بني إسرائيل قال لموسى عليه السلام ادع الله أن يوسع علي في رزقي، فأوحي الله إلى موسى إني سأوسع عليه سنتين فأخبر موسى الرجل فاستشار الرجل زوجته وكانت صالحة فقالت له أري أن تنفق ما يرزقنا الله به في هاتين السنتين، حتى إذا مرت السنتان أرسل الله من ينفق علينا، فقال لها: نعم الرأي ثم فتحوا في دارهم أربعة أبواب وكتبوا عليها، هنا يطعم الجائع، هنا يسقي العطشان، هنا يكسى العريان، هنا يداوي المريض...

فمرت السنتان والخير في زيادة، حتى مر موسى كليم الله بعد سبع سنوات فتعجب من كثرة الخير فسأل موسى ربه فقال الله تعالى: يا موسى لقد فتحت علي عبدي باباً ففتح أربعة أبواب أفيكون العبد أكرم من سيده!!.

ونلاحظ أن القاسم المشترك في القصتين السابقتين هو موقف كل زوجة مع زوجها فكانت عوناً وسنداً له بصلاحها، ومدي إجابة العبد لسيده وخالقه.

وختاماً:

سؤال يطرح نفسه: هل حققت العبودية لله، أم أنت عبد لـ..!!؟

انهض بنفسك وكن عبداً لله، فحق لك أن تفخر وتشرف بها.

قال الله تبارك وتعالي:{تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾} [مريم: ٦٣].

* * *

الخاتمة

وبعد..

اعمل لنفسك ما تحب لغدك، فما قدمت لنفسك؟ فإن أحسنت فلك الحسنى، وإن كانت الأخرى فلا تلومن إلا نفسك وتبوأ لنفسك عظيم المنزلة عند الله تبارك وتعالي من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال وكما قال جل شأنه:{ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾} [الإسراء: ٨٤].

* * *